المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة

دراسة اعتراضات (موقع القرآن) على الكتاب العزيز

د. محمد عبدو

ندوة

القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة

(تقنية المعلومات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

أما بعد حمد الله الذي هو فاتحة كل كتاب، والصلاة على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، التي هي خاتمة كل خطاب؛ فإني قد وقفت على موقع يسمى: (موقع القرآن)[1]، تكلّف فيه أصحابه الاعتراض على قدس الكتاب العزيز. فوجدت الموقع على طريقة ينكرها منهج التحقيق في البحث، والأدب في الكلام، والأمانة في البيان، ولا يرتضيها خدّام المعارف المحافظون على فضلهم ورواج بضاعتهم، المتحذّرون من وبال الانتقاد ووصمة ظهور الزيف والزيغ.

وقد أحببت أن أُشير إلى بعض ما فيه ممّا حاد عن الأمانة، أو تاه في الغفلة، دفاعا عن القرآن الكريم، وخدمةً منّي للمعارف، وإحقاقاً للحقّ، وانتقاداً للزيف؛ ليثني من يريد الكتابة من جماح تعصّبه، ويأخذ في مزالّ الأقدام وعثرات الأقلام بيد قلمه.

وأما أصحاب هذا الموقع؛ فالمظنون أنّهم موّهوا باسمهم ومحلّهم، ويظهر من حالهم أنّهم ليس لهم وقوف على كتب العهدين كما ينبغي للمحقق، وإلاّ

---

(١) عنوان الموقع على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.thequran.com/Read.aspx?t=1&s=1&fv=1&tv=7

مع الإشارة إلى أنني لم أقف على أية دراسة تتصدى لهذا الموقع ورد الشبهات التي أوردها أصحابه على القرآن الكريم.

لما أقدموا على كثير من أقوالهم -كما ستعرف ذلك إن شاء الله من متفرّقات هذا البحث- اللّهمّ إلاّ أن يكونوا قد حاولوا الإغفال وأمنوا الانتقاد.

وقد رتبت بحثي على فصلين وخاتمة؛ تولى الأول تقديم فكرة عن الموقع، واختص الثاني بالرد على بعض ما خطته أيمان المعترضين على قدس الكتاب العزيز، وما سطروه في موقعهم، وأما الخاتمة فتكر على البحث ببيان أهم نتائجه.

الفصل الأول
في تقديم فكرة عن الموقع

هذا الموقع من أشد المواقع مناهضة للقرآن الكريم، على الرغم مما يدعيه أصحابه من خلال الشعار الذي يرفعونه في كلمتهم (الترحيبية)، وهي أنه موقع يمتاز بالدقة في المعلومات، ومصداقية المصادر، والاختلاف في الرأي.

تتضمن صفحة الموقع الرئيسة: عنوانات ستة، بالإضافة إلى تعليق على القرآن الكريم.

وأنا أبدأ بذكر هذه العنوانات وما يندرج تحتها، ملتزما الإنصاف، ومجانبا الاعتساف، فأقول:

العنوان الأول: أهلا

وفيه يزعمون ما يلي:

١- أن هذا الموقع، هو أول موقع لتفسير القرآن تفسيرا موضوعيا، بعيدا عن الخرافة والأساطير التي امتلأ بها التراث الإسلامي.

٢- أنه موقع لكل الباحثين والدارسين الذين يودون دراسة القرآن دراسة تتعدى الحدود التي رسمها المفسرون، الذين لم يجرؤوا في يوم من الأيام أن يبتعدوا عن نظرة القداسة، ورفضوا أن يخضعوا القرآن للمعايير المتبعة في نقد النصوص القديمة.

٣- أنه أول موقع يرى فيه الباحث القرآن بوضوح أكثر، ويرى

فيه الآيات المنسوخة مسلطا الضوء عليها داخل النص، ويجد فيه تعليقات وأسئلة مختلفة متصلة بالآيات داخل سياقها وداخل النص نفسه، ويجد فيه أيضا الكثير من التفاصيل العملية التي تفيد كل من يود قراءة القرآن قراءة متأنية.

٤- يزعمون أنهم بهذا المجهود لا يبتغون من ورائه سوى جعل القرآن نصاً مفهوماً للجميع، قابلاً للمساءلة، له ما لكل الكتب، وعليه ما على جميع الكتب.

العنوان الثاني: اقرأ

وفيه يعرضون القرآن الكريم كاملاً باللغة العربية، وأيضا مترجماً إلى اللغات الأخرى؛ الإنجليزية (أربع ترجمات)، والإسبانية، والفرنسية، والتركية.

العنوان الثالث: أخطاء قرآنية

عدد هذه الأخطاء بحسب هذا الموقع (١٢٩) خطأ[١].

وهم يصنفونها إلى أنواع؛ فبعض الآيات تتضمن غموضاً،

(١) لا بد أن نشير في هذا المقام إلى تخبط أصحاب هذا الموقع في عدد الأخطاء التي يزعمون أنها في القرآن، فيوما يذكرون ١٣٩، ويوما يذكرون ١٢٩، وهو العدد المسجل حسب آخر تصفحي للموقع بتاريخ: ٢٠٠٨/١٢/٠٨م، نفس الملاحظة بخصوص الآيات المنسوخة، فبعد ما ذكروا (٢٤٣)، نجدهم يستبدلون به (٢٤٦)، وأيضا بالنسبة للآيات المكررة، ذكروا ٢٣١ آية بعد ما كانوا ذكروا ٢٢٧.

وبعضها يتضمن خطأ إما تاريخياً، أوعلمياً، أوجغرافياً، أولغوياً، وبعضها فيه تناقض قرآني.

ويمكن توضيح هذا بمثال: وهو قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾ [البقرة: ١]، فيزعمون أن فيها غموضاً، فإنهم يقولون: "الحروف المقطعة في القرآن، اختلف فيها علماء الإسلام اختلافاً كبيراً، فمنهم من عدَّها اختصارات لأسماء الله، ومنهم من اعتبر أن العبرة في حسابها العددي، والبعض قال إنها مجرد حروف لتنبيه المستمعين آنذاك، والبعض اعتبرها في حكم المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وهكذا لم يقفوا لها على معنى، السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الباب: إن كانت الغاية من الوحي هي أن يخاطب الله البشر فلماذا ينزل الله كلاما غير مفهوم كالحروف المقطعة؟ ولاسيما أن القرآن من المفروض أنه كتاب عربي مبين!!"

العنوان الرابع: الآيات المنسوخة

وفيه يدرجون الآيات المنسوخة والآيات التي نسختها، وهي بحسب زعمهم (٢٤٦) آية منسوخة، مستندين في ذلك إلى بعض علماء الإسلام، كابن عباس وابن الجوزي وابن العربي والزرقاني والسيوطي وغيرهم.. والغرض من ذلك؛ هو أن يبينوا أن القرآن قد وقع فيه النسخ، وأن هذا بنظرهم يقدح في القرآن الكريم، جهلا بالحكمة المتعالية التي يتضمنها النسخ وما فيه من المصلحة العظيمة للعباد.

العنوان الخامس: الآيات المكررة

وفيه يوردون الآية القرآنية، وفي مقابلها الآية التي تشبهها. مع تصنيفها إلى تشريعي أو سردي أو قصصي، ثم نوع التكرار؛ إما أنه طبق الأصل، أو شبيه به. وعدد الآيات المكررة في نظر الموقع (٢٣١) آية.

فمثلا: قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥]، يرون أن هذه الآية مكررة في قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان: ٥].

وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ۚ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧]، يزعمون أن الآية رقم ٢٥ من سورة الرعد شبيهة لها، ومن ثم فهي مكررة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[الرعد: ٢٥] .

العنوان السادس: قراءات مختلفة للقرآن

أما فيما يتعلق بهذا العنوان فلم يدرجوا تحته أي شيء[(١)].

تعليق على ما ذكره الموقع:

يمكن إبراز مجموعة من الملاحظات بخصوص (موقع القرآن)، منها:

(١) تم حذف هذا العنوان من الصفحة الرئيسة للموقع.

١- أنه باللغتين العربية والإنجليزية، وبينهما خلاف؛ فعدد الأخطاء التي سطروها في النسخة العربية (١٢٩) خطأ، بينما أوردوا في النسخة الإنجليزية (٤٨) خطأ، ثم جعلوها (٤٢) خطأ، بحيث لا تراهم يستقرون على رقم، وهذا يظهر تخبط أصحاب هذا الموقع.

٢- أنهم يصدرون الموقع بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢]، القصد من إيرادها الاستهزاء بالقرآن الكريم. والمقصود أنهم بما توصلت إليه قريحتهم من أخطاء يُقْدَح في قدس الكتاب العزيز، وأن فيه اختلافاً كبيراً، ومن ثم فإن هذا القرآن هو من صنع محمد ﷺ وليس من عند الله. وأن هذا الأخير إنما أخذ تعاليمه من الكتب السابقة ومن اليهود الذين كانوا في المدينة.

٣- أن الأخطاء (١٢٩) التي زعموا أن القرآن قد وقع فيها، موزعة على أصناف سبعة:

أولاً: غموض: (١٩) بعضها مكرر، والعدد الصحيح بحذف المكرر هو (١٤).

ثانيا: تاريخي: (٧٩) بعضها مكرر، والعدد الصحيح بحذف المكرر هو (٦٩).

ثالثا: علمي: (١٢) بعضها مكرر، والعدد الصحيح بعد حذف المكرر هو (١٠).

رابعا: جغرافي: (١٣) بحذف المكرر (٨).

خامسا: لغوي: (٢).

سادسا: السؤال: (١٢).

سابعا: تناقض قرآني: (١) وهو مذكور أيضاً ضمن الأخطاء التاريخية.

فانظر كيف يعترضون على القرآن بأنه تضمن آيات مكررة، وهم أنفسهم يكررون الخطأ أكثر من مرة؟

٤- أنهم يعترضون على عربية القرآن، وهم قد وقعوا في أخطاء نحوية ولغوية، ولا يمكن التذرع بأنها أخطاء مطبعية، ما دام الخطأ نفسه مكرراً أكثر من مرة.

٥- أصحاب هذا الموقع لا أمانة لهم، ولا سيما فيما ينقلونه عن علماء المسلمين، ولكن لا عجب، شنشنة نعرفها من أخزم. فهم قد حرفوا العهدين، فهل يصعب عليهم تحريف ما سواهما؟[١]

فهذه بعض الملاحظات على هذا الموقع وأصحابه، وجميع ما ذكروه – كما ترى- صادر عن متعصب، مدلس وممو، قد شَرِقَ بالقرآن بغصته، وشجي منه بكلامه.

وقد كنت فاوضت أصحاب هذا الموقع، وأنا أظهر خلاف ما أبطن، لأقف من تلك الاعتراضات التي سطروها على عقيدتهم، ولأستدرجهم

(١) قارن مثلا بين ما نقلوه عن السيوطي في تعليقهم على القرآن في مسألة مقدم القرآن ومؤخره وبين ما ذكره صاحب الإتقان في هذه المسألة، لتقف على تحريفهم وتـزييفهم للحقائق، الإتقان: ٢/٢٤-٢٥.

لمعرفة مقاصدهم، وكتبت إليهم ما نصه:

«السيد المشرف على موقع القرآن

تحية طيبة

لقد تصفحت موقعكم وأود أن أستفسر عن بعض الأمور:

فمثلاً فيما يتعلق بالآيات التي تقولون: إنها مكررة، قد يعترض عليكم بأن هذا ليس تكراراً؛ لأن الآيات مرتبطة بما بعدها وما قبلها فيختلف المعنى.

وقد يعترضون عليكم بأنكم تجهلون اللغة العربية لا سيما وأنتم لستم من أهلها. وهكذا بالنسبة للآيات المنسوخة.

وكيف يمكنكم رفع القداسة عن القرآن الذي هو من عند الله.

فضلاً عن أن خصومكم يقولون بأنكم غير عادلين في أحكامكم، وأنكم من اليهود الذين يبغضون الإسلام.

فالمرجو منكم الجواب عن هذه الاعتراضات حتى نكون على بينة من الأمر. والسلام».

فلم يزدني جوابهم إلا توكيداً لما قررت وحررت، من خبث الطوية، وعدم نقاء السريرة[1].

---

(١) تأمل عبارتهم في جوابهم الذي أرسلوه إلي: (أما عن أننا يهود، فنقول لمن يقول ذلك أننا لسنا بيهود بل مفكرين من وسط المسلمين اختاروا أن لا يتبعوا كل المسلّمات بل يفحصون الكتب والأفكار للوصول إلى الحقيقة...) فتأمل عبارة: مفكرين من وسط المسلمين، وانظر ما تنطوي عليه من تمويه.

وسوف نبين إن شاء الله في الفصل الذي يلي هذا؛ أن الأمر ليس على ما يقع لهم، وأنهم تنكبوا المسالك المائلة عن وضح السبيل، وأن الغرض من إنشاء هذا الموقع ليس غرضاً علمياً، ولا موضوعياً كما يزعمون، وأن مقصدهم بالدرجة الأولى إنما هو الطعن في الكتاب العزيز، وإثارة الشبهات، وبيان أن القرآن الكريم قد وقع فيه من الأخطاء ما يجعله مثل كتبهم التي وقع فيها التحريف، ومن ثم فلا مجال للطعن في كتبهم ما دام أن القرآن نفسه فيه أخطاء.

وعلاوة على إماطة اللثام عن غرضهم الخبيث هذا، سنكشف الغطاء -إن شاء الله- عن كون اعتراضاتهم على القرآن ليست صحيحة، ونحيلها إلى هباء اشتدت به الريح في يوم عاصف، من خلال ما نذكره من أمور وردت بها كتب النظار، والعلماء الأخيار، ننـزه بها القرآن عن مطاعنهم، فنبين أنه ليس في القرآن ما توهموه من أخطاء علمية أو لغوية أو تاريخية...، ونذكر حكمة النسخ، وحقيقة التكرار في القرآن الكريم...

الفصل الثاني
في رد اعتراضات (موقع القرآن) على الكتاب العزيز

وفيه مباحث ثلاثة؛ أحدها في تنزيه القرآن عن الأخطاء، والثاني في بيان حكمة النسخ، والثالث في بيان حقيقة التكرار في القرآن.

ولكن لا بد قبل الخوض في بيان المقصود، من الإشارة إلى أمر مهم، يجري مجرى التمهيد لتلك المباحث؛ وهو في بيان عدم حجيّة ما في كتب العهدين على المسلمين.

وتوضيح ذلك؛ أني قد وجدت العمدة لمُباحثي المسلمين من أصحاب هذا الموقع هو الاحتجاج عليهم بما في كتب العهدين، وكأنّ هؤلاء المباحثين لم يفطنوا إلى أنه لا حجة لهم بها على المسلمين لوجوه:

الأوّل: أنّه من المتعذّر إيصال السند في كلّ واحد من هذه الكتب إلى الأنبياء معادن الوحي والإلهام، على سبيل التواتر المفيد اليقين في كلّ طبقات النقل؛ وغاية ما عندهم هو الاعتماد على حكم المجامع المتقلّب في تمييز الكتاب الإلهامي من المكذوب، والاستشهاد بمطابقة كلام القدماء.

الوجه الثاني: أنّه لا تمكن معرفة رسالة الأنبياء السابقين، وتعيين كتبهم الصادرة عن الوحي معرفة يقينيّة، إلاّ عن طريق إخبار رسول الله خاتم المرسلين، والقرآن الذي هو كلام الله بواسطة دلالة العقل على صدق رسول الله بدعواه الرسالة، وأنّ القرآن الكريم هو كلام الله العظيم، فلو شككنا ـ والعياذ بالله- بالرسول والقرآن كما يريدون، لم تبق لنا معرفة بنبيّ مرسل ولا اسم كتاب إلهامي؛ فإنّ كتب العهدين بنفسها ووجوه مضامينها هي التي تصدّ عن

الإذعان باتّصال سندها، وصحّة تواترها وصدورها عن الوحي والإلهام، وتمنع عن التصديق بنبوّة أنبيائها، والوثوق بنقل دلائل نبوّتهم لو صحّت نسبتها إليهم.

وأيضاً؛ إنّ القرآن الكريم والعقل السليم يدلّان بأوضح دلالة على أنّ في هذه الكتب شيئاً كثيراً ليس من الإلهام والوحي أصلاً؛ لمخالفتها لهما في أُمور كثيرة مخالفةً لا تقبل التأويل. وبذلك يسقط اعتبار مجموعها لو صحَّت نسبة المجموع إلى الوحي في الجملة.

الوجه الثالث: شهادة بعضها على بعض بالتحريف صريحاً، وإن حامى بعض النصارى عن ذلك وكتبوا في كتبهم قولَهم: «متى حُرِّفت؟ ولماذا حرّفت؟ ومن حرَّفها؟ ولأيّ غرض حرّفها؟».

فمن جملة الشهادات ما في الثالث والعشرين من إرميا في خطاب الشعب: «أمّا وحي الربّ فلا تذكروه بعد؛ لأنّ كلمة كلّ إنسان تكون وحيه، إذ قد حرّفتم كلام الإله الحيّ ربّ الجنود إلهنا»[١].

وفي التاسع والعشرين من إشعياء: «يالتحريفكم»[٢].

يقصد بهم المعلمين من اليهود والمتنصرين الذين يريدون بضلالهم أن يشوهوا الكتب فيحرفوها حسب أهوائهم.

ولنكتف في هذا الأمر بهذا المقدار وإن كان قليلاً من كثير، وفيه كفاية بتوفيق الله لذي الرشد.

---

(١) سفر إرميا: ٣٦: ٢٣.

(٢) سفر إشعياء: ١٦: ٢٩.

المبحث الأول
في تنزيه القرآن عن الأخطاء

كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ فعدد الأخطاء التي يذكرها الموقع هو (١٢٩) خطأ، ولا يمكن الخوض فيها جميعا، بل سأكتفي بأنموذج أو أنموذجين، من بعض الأصناف المذكورة آنفا، بحيث يكون ما نذكره، مثالا لما نهمله.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: في رد اعتراضهم على القرآن من حيث الغموض

اعترض أصحاب الموقع على وجود كثير من الغموض في القرآن؛ منها:

١- اعتراضهم على حروف التهجي في القرآن، وكون علماء المسلمين لم يقفوا لها على معنى، مع أن الغاية من الوحي هي أن يخاطب الله البشر بما يفهمون، فلماذا ينزل الله كلاماً غير مفهوم كالحروف المقطعة؟ خصوصاً وأن القرآن من المفروض أنه كتاب عربي مبين!!

هذا وجه اعتراضهم.

فلا تشمئز أيها الناظر في مسطورنا في عليل مضمونه، وكليل أسلوبه.

وسوف نورد من أقوال السلف والعلماء النظار ما يوقفك على المراد بها.

من ذلك؛ ما أخرجه ابن المنذر عن الشعبي: أنه سئل عن فواتح

السور، فقال: «إن لكل كتاب سراً، وإن سرَّ هذا القرآن فواتح السور»[١].

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] قال: «أنا الله أعلم، وفي قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١] قال: أنا الله أفصل، وفي قوله: ﴿الٓرۚ﴾ [يوسف: ١]: أنا الله أرى»[٢].

وأخرج أبو الشيخ، عن محمد بن كعب القرظي، قال: ﴿الٓرۚ﴾ من الرحمن[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، وعن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] قال: «هو هجاء مقطع: الكاف من الملك، والهاء من الله، والياء والعين من العزيز، والصاد من المصور»[٤].

وأخرج أيضاً عن محمد بن كعب، في قوله: ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١-٢] «قال: الحاء والميم من الرحمن، والعين من العليم، والسين من القدوس، والقاف من القاهر»[٥].

وهلم جرا إلى نظائر هذه الأقوال. وهي جميعها راجعة إلى قول واحد، وهو أنها حروف مقطعة، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى[٦].

---

(١) الإتقان: ٢/١٥.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه: ٢/١٦.

(٥) نفسه.

(٦) الإتقان: ٢/١٧.

وهناك قول ثان اختاره الزجاج، «قال: العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها»[١].

ومنه قول الشاعر:

قلت لها قفي فقالت قاف

أي: وقفت[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق السدي أنه بلغه عن ابن عباس، قال: ﴿الٓمٓ﴾ اسم من أسماء الله تعالى الأعظم[٣].

واخرج ابن جرير وغيره، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ [القصص: ١] وأشباههما قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله[٤].

قال السيوطي: «وهذا يصلح أن يكون قولا ثالثا، أي: أنها برمتها أسماء الله. ويصلح أن يكون من الأول ومن الثاني. وعلى الأول مشى ابن عطية»[٥].

وللقاضي أبي بكر كلام آخر يوقفك على حكمتها، أورده في كتابه قانون التأويل، وعبارته: « ومن الباطن علم الحروف المقطعة في أوائل

(١) نفسه.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.

السور، وقد قيدت فيها أزيد من عشرين قولاً... بيد أني أذكر لكم فيها قولاً بديعاً لم أسبق إليه، ولا زُوحِمْتُ عليه، في أسباب سلوكي إلى الله سبحانه، وذلك أن الله بعث نبيه محمدا ﷺ إلى الخلق بمعجز تحدى به العرب خاصة وهو القرآن، واستفتح بعض سوره بهذه الحروف المقطعة، والعرب قد شنفت[١] له، وقومه جرآء عليه، يرقبون منه زلة، ويتربصون به سقطة، فلو كانت هذه الحروف سالكة سبيل الإشكال، غير داخلة في فن من فنون فصاحتهم، لا تهتدي إليها معارفهم، ما تركوه أن ينتقل عنها شبراً، حتى يحدث لهم فيه ذكراً، ويظهر إليهم بها علما، وقد قال للمبتدئين منهم بالإذاية، المشتهرين بالنكاية، المستهزئين بكل دليل وآية: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]، ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[فصلت: ١-٢]، والأندية حافلة بالأعادي، والنفوس متشوقة إلى عثرة من الحساد، فأذعنوا لفصاحة القول باتفاق، ولم يقولوا: هذا اختلاط، بل قالوا: هذا اختلاق، وليس يقدح في علم من علوم الدين جهل من جهله من المسلمين، ولو كان هذا مما ينال بالاجتهاد، ويجرى عليه بالظن لقلت لكم فيه: إن الأقرب إلى الصواب قول من قال: إنه إشارة إلى تعجيز العرب»[٢].

ولبعض المحدثين كلام آخر يشير إلى بعض معانيها، من ذلك ما ذكره السيد رشيد رضا، إذ قال: «من حسن البيان وبلاغة التعبير، التي غايتها إفهام المراد مع الإقناع والتأثير، أن ينبه المتكلّمُ المخاطَب إلى مهمات كلامه

(١) أي نظرت له في اعتراض: الصحاح: ١٣٨٣/٤.

(٢) قانون التأويل: ٢٠٨-٢٠٩.

والمقاصد الأولى بها، ويحرص على أن يحيط علمه بما يريده هو منها، ويجتهد في إنزالها من نفسه في أفضل منازلها، ومن ذلك التنبيه لها قبل البدء بها لكيلا يفوته شيء منها. وقد جعلت العرب منه هاء التنبيه وأداة الاستفتاح، فأي غرابة في أن يزيد عليها القرآن الذي بلغ حد الإعجاز في البلاغة وحسن البيان، ويجب أن يكون الإمام المقتدى به، كما أنه هو الإمام في الإصلاح والهدى؟ ومنه ما يقع في أثناء الخطاب من رفع الصوت وتكييفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر، أو غنة الاسترحام والعطف، أو رنة النعي وإثارة الحزن، أو نغمة التشويق والشجو، أو هيعة الاستصراخ عند الفزع، أو صخب التهويش وقت الجدل. ومنه الاستعانة بالإشارات وتصوير المعاني بالحركات، ومنه كتابة بعض الكلمات أو الجمل بحروف كبيرة أو وضع خط فوقها أو تحتها...إلخ»[١].

وقد انتصر لهذا الرأي الدكتور صبحي الصالح، فإنه قال ما نصه: «وإن انطباق هذه الحكمة على الواقع النفسي لمن كان القرآن موجهاً إليهم حين نزول الوحي، لا يزيدنا إلا استمساكاً بهذا الرأي. ولأمرٍ مّا افتتحت جميع السور التي أولها حروف مقطعة بذكر الكتاب أو معان تتعلق بالوحي والنبوة»[٢].

ومن المعلوم أن هذه السور كلها مكية إلا البقرة وآل عمران. فأما المكية فلدعوة المشركين إلى إثبات النبوة والوحي، وأما الزهراوان المدنيتان

(١) تفسير المنار: ٢٩٩/٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٤٥.

فلمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن. وكانت تلك الفواتح كفيلة بتنبيه هؤلاء وأولئك إلى ما كان يلقى عليهم حتى لا يفوتهم شيء»[١].

وما تنفك هذه الفواتح من عوامل الاستغراب، ولا يخلق الاستغراب إلا الاهتمام، ولا يثير الاهتمام إلا التنبيه، ولن ينبه الناس ويقرع أسماعهم صوت أجلُّ وقعاً من هذه الحروف المقطعة الأزلية التي أوحاها الله إلى نبيه محمد ﷺ[٢].

٢- ومن ذلك اعتراضهم على قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠] فقالوا إن القرآن يصور لنا وكأن الله جالس على عرشه يستشير مستشاريه الملائكة عن مسألة خلق الإنسان، وبحكم تجربتهم يعترضون على هذا الأمر بقولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ والله ينبههم بأنه يعلم ما لا يعلمون.

فالجواب: أن هذا ليس من الاستشارة في شيء، فإنّ كلّ من يفهم الكلام يعلم أنّ الاستشارة لا تكون بمثل الإخبار المؤكّد بهذا التأكيد، وإنّما هو تفضّل منه تعالى بإعلام ملائكته بآثار حكمته وقدرته.

وقد جاء في العهد القديم: «إنّ السيّد الربّ لا يصنع أمراً إلاّ وهو يعلن سرّه لعبيده الأنبياء»[٣]. بل هو أبعد من الاستشارة، ونحوها من

---

(١) نفسه.

(٢) لمزيد من التوسع في موضوع فواتح السور يراجع: الكشاف: ١٦/١، والبرهان: ١٦٥/١-١٦٦، والإتقان: ١٣/٢، وتفسير ابن كثير: ٣٦/١.

(٣) سفر عاموس: ٧: ٣.

قول التوراة: «فقال الربّ: هل أُخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله»[١]. وحاشا للقرآن الكريم كلام الله أن يجيء فيه مثل قول التوراة: إنّ صرخة سدوم وعمّورة قد كثرت وخطيئاتهم قد عظمت جدّاً. أنزل وأرى هل كصرختهم الآتية إليَّ عملوا كلّها وإلاّ فأعلم[٢].

وإن أراد أصحاب الموقع أن يعرفوا الكلام الدالّ على نسبة الاستشارة والحيرة والضعف إلى الله ـ جلَّ شأنه ـ فلينظروا إلى العهد القديم الذي يقول: «فاسمع إذن كلامَ الربّ. قد رأيت السيّدَ الربّ جالساً على كرسيّه وكلّ جند السماء وقوف لديه عن يمينه ويساره. فقال الربّ: من يُغوي أخْآب فيصعدَ ويسقطَ في رامُوت جلعاد فقال: هذا هكذا وقال: ذاك هكذا، فخرج الروح ووقف أمام الربّ وقال: أنا أُغويه، فقال له: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال: إنّك تُغويه وتقتدر فاخرج وافعل هكذا»[٣].

وبهذا تعرف مكابرة أصحاب الموقع وفسادها.

المطلب الثاني: في رد اعتراضهم على القرآن من حيث التأريخ

١- وقد توغّل أصحاب الموقع في شطط التعصّب، فصاروا يدّعون أنّ القرآن الكريم يستعمل الألفاظ العربيّة في غير ماوضعت له ـ أي خطأً واشتباهاً ـ وعدُّوا من ذلك قول القرآن عن دين إبراهيم: «إنّه

(١) سفر التكوين: ١٧: ١٨.

(٢) سفر التكوين: ٢٠: ١٨-٢١.

(٣) سفر الملوك الأول: ١٩: ٢٢-٢٢، سفر الأيام الثاني: ٢٢: ١٨.

حنيف». وزعموا أنّ العرب تسمّي عابد الوثن حنيفاً، وأنّ الحنيف عندهم الملتوي الضالّ والخبّ الخدّاع[١].

وهذا من كذبهم وافترائهم؛ فإن الحنيف في العربيّة هو من كان على حقيقة التوحيد وعبادة الحقّ.

قال الجارود بن بشر من عبد القيس، وكان نصرانيّاً فأسلم طوعاً:

فَأَبْلِغْ رَسُولَ اللهِ مِنِّي رِسالةً ... بأنّي حَنِيفٌ حيثُ كنتُ مِن الأرْضِ

وقال حسّان بن ثابت يخاطب أبا سفيان:

هَجَوْتَ مُحَمّداً بَرّاً حَنيفاً ... أمينَ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفاءُ[٢]

٢- ومن زيفهم وضلالهم أيضا، اعتراضهم على قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧].

فادعوا أن الكعبة بناء وثني أقيم لعبادة الأوثان أو لعبادة زحل كما يؤكد الكثير من علماء التاريخ، وأنه لا يوجد أي دليل لا من التاريخ ولا من الكتابات القديمة ولا من تاريخ بني إسرائيل يؤكد بأن إبراهيم فعلا زار البلاد العربية وبنى فيها الكعبة، وأن الكعبة حتى عصر محمد ﷺ هي بيت عبادة للأصنام.

---

(١) ذيل مقالة في الإسلام: ٨١.

(٢) ديوان حسان: ٦١.

والجواب: أنه ليس في التوراة الرائجة ما يدلّ على أنّ إبراهيم لم يتوجّه مطلقاً إلى الكعبة ولا إلى بلاد العرب، وغاية ما فيها أنّها لم تذكر بصراحتها سفر إبراهيم إلى مكّة، وغاية ما تعرّضت له من أحوال إبراهيم إنّما هو رحلاته التي هاجر فيها بعائلته وثقله وبيته. وإنّما كان ذهابه إلى مكّة من سفريّاته الخصوصيّة، ولم تتعرّض التوراة الرائجة لهذا النوع من السفريّات. كما أهملت ذكر شؤونه وأحواله ونشوئه وتربيته فيما بين النهرين، وقد قضى من ذلك شطراً وافياً من عمره، وهو مؤمن، بل نبيّ بين وثنيّين، لابدّ أن تجري لهم معه شؤون مهمّة. وكما أهملت ذكر شؤونه في حاران أيضاً.

أفترى إذا قال بعض المؤرّخين: إنّ إبراهيم سافر وهو فيما بين النهرين إلى اليمن أو عمان، أو سافر وهو في حاران إلى ناحية الشمال، فهل يحسن من ذي أدب أن يردّه بخلوّ التوراة من ذلك؟ كلاّ.

فإن قالوا: إنّ الذي يُدَّعى من سفر إبراهيم إلى مكّة وبناء البيت أمر مهمّ، لا ينبغي للتوراة أن تهمله إذا كان له أصل.

قلت: أمّا **أوّلاً**: فإنّ توراة حلقيا ـ أو غيره ـ مشغولة بما هو أهمّ من ذلك عندها، وهو تسجيل رحلة إبراهيم إلى مصر، لكي تجري وظيفتها في ذكر قصّة فرعون وأبي مالك[1] مع إبراهيم، فتمجّد إبراهيم بذلك[2].

وأمّا **ثانياً**: فإنّ هذه التوراة إنّما هي كآبائها بني إسرائيل، إذ حرصوا على أن لا يجعلوا نصيباً لغيرهم في توحيد الله وعبادته وشريعته ونبوّته.

---

(١) هو الملك الجبّار الذي حاول أخذ سارة زوجة إبراهيم عليه السلام.

(٢) انظر سفر التكوين: ١١: ١٢-٢٠ و١: ٢٠-١٨.

فكيف تسمح أن تذكر بناءَ إبراهيم وإسماعيل للبيت، مع ما فيه من الفضل والرفعة للإسماعيليّين. وإنّ كاتب الأيام الأُوَل لم يدعه الحنق على الإسماعيليّين أن ينسبهم إلى أبيهم، بل سمّاهم الهاجريّين[١]. وسرى هذا الوباء حتّى إلى كاتب رسالة غلاطية فصار يضرب مثله في الرفعة والضعة بابن سارة وابن هاجر[٢].

وأمّا **ثالثاً**: فإنّ أُمّة العرب بأسرها متسالمون في أجيالهم على نقلهم أنّ الكعبة الشريفة هي بناء إبراهيم وإسماعيل. وقلّما يتّفق لحقيقة أن يتواتر نقلها بمثل هذا التواتر، فهو حجّة مرغمة للخصم، ولا يمنع من ذلك أنّ العرب أخيراً وضعوا فيها الأصنام، لمّا تلاشت من بينهم حقيقة الحنيفيّة ملّة إبراهيم، فانقلبوا إلى الوثنيّة والشرك. كما هو الوباء العامّ الذي لم تسلم منه أُمّة إلاّ أُمّتنا المرحومة، ثبّتها الله على توحيده وطاعته. فإنّ بني إسرائيل شعب الله، وابنه البكر ـ بقول توراتهم ـ قد جعلوا الأصنام في بيت المقدس مراراً عديدة لمّا تقلّبوا في وثنيّتهم، بل أخربوا بيت المقدس وانتهبوه.

وأمّا **رابعاً**: فإنّ رسول الله ﷺ طالما هتف بين العرب بأنّ الكعبة بناء إبراهيم، وتلا عليهم الآيات المصرّحة بذلك. فلو كان في ذلك خدشة، لصالوا على دعوته بذلك، وجعلوه برهاناً على تكذيبه في دعوته الثقيلة على أهوائهم، ولم يلتجئوا إلى المكابرة بنسبة الجنون إلى قدسه، مع أنّهم كانوا يعاملونه من حيث الكمالات معاملتهم لأكمل البشر وأعقلهم.

---

(١) سفر الأيام الأول: ١٠: ٥و١٩و٢١.

(٢) رسالة أهل غلاطية: ٢٢: ٤-٣١.

فإن قالوا: إنّهم عرب خالون من المعارف، فتروج فيهم مثل هذه الدعوى.

قلت: إنّ كلّ من له إلمام بفلسفة القبائل ومعرفة أحوال العرب، يعلم أنّ لهم المعرفة التامّة في تأريخ قديمهم وآثار آبائهم وأسباب شرفهم، بل كان ذلك من أهمّ معارفهم عندهم الرائجة بينهم.

ولا تقل: إنّ رواج ذلك سهل بين الإسماعيليّين؛ لأنّه يتعلّق بمجدهم، وذلك لأنّ القحطانيّين لو وجدوا أدنى سبيل لمنعه لمنعوه، ولم يتركوا الإسماعيليّين يفخرون عليهم بذلك، فإنّهم من قديم الدهر وحديثه لا يزالون يفاخرون الإسماعيليّين وينافرونهم. ومن ذلك تعلم أنّ تسليم القحطانيّين لهذه الحقيقة برهان كاف على أنّها لا تختلج فيها الأوهام، إلاّ إذا أقحمتها العصبيّة وقلّة المبالاة.

ولئن علقتم أنفسكم بإهمال التوراة الرائجة لهذه الحقيقة، ولم يُزِح ما قدّمناه شكوك شبهاتكم، فلا تحتفلوا بإهمال التوراة؛ فإنّ العهد الجديد يشهد بأنّها قد أهملت أهمّ تأريخ إبراهيم وألزم شؤونه بالذكر فيما هي بصدده، وهو بدء الدعوة وظهور الله له في أرض الكلدانيّين فيما بين النهرين، وأمره له بالهجرة من وطنه. فقد جاء في أعمال الرسل كتاب إلهام المسيحيّين عن استفانوس المذكور أنّه «مملوء من الإيمان والروح القدس والقوّة، بحيث يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب»[1]، وأنّه قال: «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو فيما بين النهرين قبلما سكن

(١) أعمال الرسل: ٥: ٦-٩.

في حاران وقال له: اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهَلُمّ إلى الأرض التي أُرِيك، فحينئذ خرج من أرض الكلدانيّين وسكن في حاران»[١].

٣- واعترض أصحاب الموقع أيضا على قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤] .

فقالوا: إن القرآن يجعل اسم أب إبراهيم هو آزر، وهو خطأ ليس للقرآن عليه أي دليل، والصواب في التاريخ وكما يشهد كتاب التوراة أن والد إبراهيم اسمه «تارح» وليس «آزر».

فالجواب: أن آزر معرّب أليعازر. ومنه قول المتنبّي:

أو كان صادف رأس آزر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى[٢].

حيث أراد منه «أليعازر» الذي يذكر إنجيل يوحنّا أنّ المسيح أحياه من الموت. فيجوز أن يكون لفظ أليعازر لقباً لتارح فإنّ معناه: «الله عون» فسمّى القرآن تارح بلقبه.

ولنا أن نقول: إنّ آزر المذكور في القرآن لم يكن أبا إبراهيم حقيقةً، وإنّما هو حسب قول التوراة: «أليعازر الدمشقي ملك بيت إبراهيم، أو ابنه المتأهّل لوراثة إبراهيم»[٣]. فسمّاه القرآن أباً لإبراهيم

(١) أعمال الرسل: ٢: ٧-٤.

(٢) ديوان المتنبي: ٦٥.

(٣) سفر التكوين: ٢: ١٥-٤.

حسب الاصطلاح الجاري في القديم من تسمية القيّم بالأُمور أباً وإن كان عبداً أو رعيّة، فعن قول يوسف: «الله جعلني أباً لفرعون»[١]. وعن قول ميخا للغلام اللاوي: «كن لي أباً»[٢]. وعن قول الدانيّين لذلك الغلام أيضاً: «كن لنا أباً»[٣]. وربما يشير تصريح القرآن باسم آزر إلى أنّه احتراز عن الأب الحقيقي.

المطلب الثالث: في رد اعتراضهم على القرآن من حيث العلم

واعترض أصحاب الموقع على قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]،فقالوا: إن القرآن يقول إن الأرض منبسطة وليست كروية. واحتجوا بما جاء فى تفسير القرطبى؛ وَالْعَرَب تَقُول: دَحَوْت الشَّيْء أَدْحُوهُ دَحْوًا: إِذَا بَسَطْته. وَيُقَال لِعُشِّ النَّعَامَة أَدْحَى، لِأَنَّهُ مَبْسُوط عَلَى وَجْه الْأَرْض. وهذا يخالف ما جاء فى سفر إشعياء ٤٠: ٢٢ : الجالس على كرة الأرض.

والجواب: أن قوله تعالى المذكور، وارد في سورة الحجر وسورة قٓ: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الحجر: ١٩]، وفي سورة نوح: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [نوح: ١٩] . فالمراد من ذلك أنّه جلّ اسمه وعظمت نعمته جعل الأرض ذات أرجاء واسعة ممتدّة وسهول منبسطة رحيبة، فلم يضق رَحبُها ولم تَستَوعِر كلّها على ساكنيها بتضاريس الحُزُون وأسنِمَة الجبال. وإنّ مدّ الأرض وبسطها بهذا المعنى لا ينافي كُرَوِيّتها التي لا تدرَك إلاّ بدقّة الرصد وكلفة البرهان.

---

(١) سفر التكوين: ٨: ٤٥ .

(٢) سفر القضاة: ١٠: ١٧.

(٣) سفر القضاة: ١٩: ١٨.

وقد جاء في العهد القديم: «الباسط الأرض على المياه»[١]. «باسط الأرض»[٢]. «هل أدركت عرض الأرض أخبرني إن عرفته كلّه»[٣]. « وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض»[٤]. وهذا يقتضي كون الأرض مسطّحة مربّعة ذات زوايا أربع.

وأظنّ أنّ هذا الكلام هو الذي دعا جماعة كثيرين من قدماء المسيحيّين إلى تكفير من يقول بكرويّة الأرض.

ومع هذا كلّه يتجرأ أصحاب الموقع على القرآن الكريم فيما ذكرنا، ويعترضون عليه بأنّ مضمونه مناف لكرويّة الأرض. وقد عرفت أنّه ليس فيه شيء من المنافاة، وأنّ ما في العهدين أولى بالمنافاة.

المطلب الرابع: في رد اعتراضهم على القرآن من حيث الجغرافية

١- قال الله جلّ شأنه في سورة يوسف في قصّة الجدب والخصب: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]. فقال أصحاب الموقع: ويترتّب عليه أنّ خصب مصر مسبّب عن المطر، وهذا خلاف الواقع، فالمطر قلّما يقع في ذلك القطر ولا دخل له في خصبه، بل ذلك مسبّب عن فيض النيل، وهذا لا يجهله أحد من أهل البلاد النازحة عن مصر فضلا عن العرب المتاخمين لها.

---

(١) سفر المزامير: ٦: ١٣٦ .

(٢) سفر إشعياء: ٥: ٤٢ و٢٤: ٤٤.

(٣) سفر أيوب: ١٨: ٣٨.

(٤) رؤيا يوحنا: ١: ٧.

قلت: أترى هؤلاء النصارى المتصدّين للأُمور الدينيّة والمباحث العلميّة، كيف أدّى بهم العناد والتمرّد على الله ورسوله، إلى أن فضحوا أنفسهم بالجهل، بصراحة التوراة التي هي كتاب ديانتهم، وبمبادئ الجغرافيّة التي لا يجهلها أطفال المكاتب الابتدائيّة في هذه القرون.

أمّا التوراة فإنّها تقول بصراحتها: «إنّ القحط قد عمّ مصر وأرض كنعان، وكلّ وجه الأرض»[1].

هذا، وإنّ الوجدان شاهد بأنّ الخصب في أرض كنعان لا يكون إلاّ بالغيث من المعصرات.

وإنّ الجغرافيّة الشائعة في المكاتب الابتدائيّة قد فهّمت الأطفال أنّ خصب مصر وزيادة نيلها إنّما هما من نزول الغيث من المعصرات، وقد حدّدت ابتداء زيادة النيل بابتداء المطر في حوضه وانتهاءها بانتهائه. وعيّنت موقع حوض النيل الذي يمدّه بماء المطر الواقع فيه، وعيّنت مساحة الحوض أيضاً.

وما ظنّك بجرأة أصحاب الموقع لو جاء في القرآن الكريم مثل ما جاء في توراتهم، بأنّه كان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنّة، وهناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث حدّاقل ـ أي دجلة ـ وهو الجاري شرقي آشور، والنهر الرابع الفرات. أفتراه لا يقول: إنّ جيحون وأرض

(١) انظر سفر التكوين: ٥٤: ٤١-٥٧ وانظر أيضا سفر المزامير: ١٦: ١٠٥و١٧.

كوش، في أفريقيا، ومبدأ الفرات من أرمينية، ومبدأ الدجلة من كردستان ومنتهاهما خليج فارس؟ فأين هذا؟ وأين عدن؟ وأين هذا من العلم بجغرافية البلدان؟

وبهذا يتضح حقيقة الحال ومقدار جهلهم.

٢- ومن نحو هذا اعتراضهم على ما ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف في الحكاية عن شأن موسى والرجل الذي آتاه الله شيئاً مِن علم الغيب من قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٠-٨٢] . فقد حاولوا أن يجعلوا فيه قدحاً بقدس موسى، وأنّى لهم ذلك؟

فزعموا أن هذه قصة خرافية - بعيدة كل البعد عن قصة موسى في التوراة- تحكي عن ذهاب موسى رفقة يشوع بن نون إلى لقاء رجل يقال له الخضر، وأنهم لا يعرفون عن هذا الرجل شيئاً إلا كونه يطوف العالم يقوم بأشياء ليس لها منطق كأن يثقب سفينة أو يقتل صبياً صغيراً بحجة أنه سيكبر ليصير كافراً..وهم يتساءلون من هو هذا الخضر؟ كيف وصل موسى إلى مجمع البحرين؟ أي بحرين هما؟ وكيف تعود الحياة للحوت بعد أن كان موسى يحمله كطعام له ولصاحبه؟

ولنكشف نقاب الغفلة عن وجه هذه الآيات، فلا يذهب عليك أنّ الله جلّت عظمته وعظمت آلاؤه، قد قسم رحمته وفضله على عباده حسبما اقتضته حكمته في خلقه، فأنعم على هذا العبد الصالح ـ الذي

يقال: إنّه الخضر ـ بشيء من علم الغيب وأسرار الحقائق، وأنعم على موسى كليمه فخصّه في ذلك العصر بسيادة الرسالة بالشريعة، وحقائق العرفان بالله، وقوانين السياسة المدنيّة والسيطرة على تربية الناس وتأديبهم على ذلك، بالدعوة إليه والإجراء له حسب فرصة الوقت من الإجراء بالقول والفعل، وعلى حكمة التمدّن من مراعاة ظاهر الحال، وحجبه عن علم الغيب الذي لا مسيس له بحكمة وظيفته.

فلمّا اجتمع موسى مع ذلك العبد الصالح طلب منه أن يُطلِعه على شطر ممّا منحه الله من علم الغيب، ولم يَتواطآ على أن يكون كلّ ذلك بأسرار الأفعال الجارية بحسب ظواهرها على خلاف الشريعة التي جعل تبليغها وسيطرتها لموسى. فكان العبد الصالح يفعل الأفعال على مقتضى حقائقها وأسرارها الغيبيّة، وكان موسى يعترض فيها على مقتضى وظيفته في القوانين الشرعيّة والسياسات المدنيّة.

ولم يظهر من القرآن أنّ موسى كان مذعناً بعصمة ذلك العبد الصالح في جميع أفعاله عن الخطأ والجهل، ليكون الاعتراض من موسى عليه منافياً للإذعان بعصمته، فيسوغ لموسى السكوت عمّا يخالف ظاهره الشريعة إلى أن يخبره بسرّه الغيبي. ولم يظهر من القرآن أنّ ذلك الرجل كان رسولاً واجب العصمة. نعم يظهر من القرآن أنّ موسى كان معتقداً بصدقه في دعواه بأنّ ما صدر من أفعاله المشار إليها، إنّما هو لكشف غيبي ووصول إلى حقائقها، لا لغفلة أو خطإ في شريعتها.

هذا، ويجوز أن يكون اعتراض موسى على وجه الاستعلام عن

الحقيقة والاستكشاف لغيبها. ويكون قوله: ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ و﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ إنّما هو بحسب مزاعم الناس الذين لا يعلمون بحقيقة الرجل واطّلاعه على بعض الغيب، فلا ينبغي لغير المتسرّع في غفلاته أن يتوهّم في دلالة الآيات شيئاً من القدح بقدس موسى.

فإن قالوا: إن محمّداً أخذ هذه القصّة من أقوال أهل عصره أو من خرافات اليهود، فإنّه لا وجود لها في التوراة التي هي أقدم كتاب في الدنيا .

قلت: من أين لأصحاب الموقع حصر الحقائق والوقائع التاريخيّة بما ذكر في التوراة؟ ومن أين لهم أنّ التوراة أقدم كتاب في الدنيا؟ أفتقبل هذه الدعاوي الكبيرة بلا برهان مقبول؟ وكأنّ أصحاب الموقع لا ينزّهون القرآن من الخرافات حين يذكرون ما في التوراة من خوف الله من آدم أن يأكل من شجرة الحياة لأنّه صار مثلَ الله في معرفة الخير والشرّ، وأكل الملائكة من الزبد واللبن والعجل الذي قدّمه لهم إبراهيم، ومصارعة يعقوب مع الله حتّى إنّه لم يقدر على يعقوب، فطلب منه أن يطلقه، فلم يطلقه حتّى باركه، ومخادعة صفورة لله حين التقى موسى وطلب أن يقتله بعد أن أرسله ووعده.

وفي هذا المقدار كفاية؛ فإنّ الإكثار منه يخرج عن حدّ البحث إلى سوء القالة.

المطلب الخامس: في رد اعتراضهم على القرآن من حيث العربية

لا جرم أن هذه الاعتراضات قد وسوس بها الضلال لأهواء هذه

الشرذمة التي غرَّها الجهل، وأغرتها العصبيّة، فشطّت عن القصد، وعكفت على الشطط، فكشفت عن مغطّاها. وفَضَحها نَضْحُها، ليعتبر المتبصِّر، ويبصر المتدبّر، كيف مُنِي الحقّ وابتليت الحقائق، واستفحل الجهل وقلّ الحياء وجمح الغرور. فكم من بادرة قد سامها الجهلُ في سُوق الأدب سَوم العِلق الثمين، فسوّد بها وجوه الصحف، وشوّه به صورة العلم. فهل كان يلوح للخيال ويتراءى للوهم أنّ واحداً من الناس تستفزّه العصبيّة ويُمَنِّيه الضلال، ويُغرِيه الجهل بأن يتعرّض بطبيعته الجعليّة وقريحته الهمجيَّة، إلى الاعتراض على القرآن الكريم بالعربيّة. وقد علم الشرقي والغربي والعربي والعجمي والفاهم والغبيّ بأنّه لؤلؤ بحرها، وقلادة نَحْرها، وعقدها الفريد، وبكرها الوحيد، قد أَقْعَتْ لباهرِهِ البُلَغاء، وسجدت لهيبته الفصحاء، وخضعت لسلطانه الخطباء، ففقأ عين الحاسد، وأرغم أنف الشانئ، ولم يُبقِ للعرب معلّقةً إلاّ حطّها، ولا شاردة إلاّ عَقَرها... فراج به سُوق العربية، وأزهر به رَوضها، وأشرق به وجهها، إلى أن أسفر صبح الإسلام على الأُمم، واتّحدت في هداه العرب والعجم، وتداخلت اللغات، وأُهجنت الألسن، فارفضّ نظام العربيّة وأشكلت مناهجها، والتبست مقاصدها وكتمت أسرارها...

وإذ علم المسلمون وغيرهم بالعلم اليقين أنّ القرآن الكريم ـ الذي هو أساس الدين، ومنار الهدى ومناط الحجّة، وأُنموذج الإعجاز ـ قد استولى من العربيّة على أفلاذ كبِدها، وفرائد لآليها، ومفاتح كنوزها، فلا يوصل إليه إلاّ من سبيلها، ولا تُقرَع بابه إلاّ بيدها.

فلأجل ذلك نهض للتدرّب فيها، وللالتقاط من سقط مائدتها، والمَصّ من وَشَلِها، فئة من الأجانب عنها، والمتطفّلين في معرفتها، فلم يدركوا من كلام العرب شيئاً إلاّ بطفيف النقل، ولم يقرعوا منه أبواب أسرارها إلاّ بالتظنّي فأسّسوا من بسيطها قواعد يتوكّؤون عليها في ترعرعهم فيها، وقد فاتهم منها يَتائِم درر لم تنتظمها قواعدها، ووقف دونها جدّهم، فلا يحظى ببعضها إلاّ الغائص المتعمّق والقانص المترصّد. إذا أسعَد جدَّهما حسنُ الفطنة وصفاء القريحة، وتوقُّد الذكاء ومجانبة التقليد.

وأصحاب (موقع القرآن) قد نكصت بهم العصبيّة وصاروا يطالبون جلالة القرآن الكريم بالقواعد التي لأجل فهمهم لفَّقها المولّدون بعد اللتيّا والتي، من وشل كلام العرب البسيط، ونَزْر شعرهِم الساذج، و بعد تعثّر الأفهام و اضطراب الأوهام، فقالوا:

إن رفع المعطوف على المنصوب جاء في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ [المائدة: ٦٩] . وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول : والصابئين، كما فعل هذا فيما ورد فى البقرة الآية ٦٢، والحج الآية ١٧.

هذا كلامهم.

ولا تستعجل التسجيل على مفردات شططهم، ومكرّرات لَغَطِهم، فإنّ كلامنا الآتي إن شاء الله لزعيم بذلك، يوقِفُك على هفواتهم، ويأخذ بيدك في مَداحِض زَلَلِهم.

وإنّا نسألك يا من يعاف المُباهَتَة: هل مهّد هذه القواعد قحطان، أم هل

عنونها عدنان، أو شعراء البادية، أو خطباء الحاضرة؟ وهل انعقدت عليها للعرب المجامعُ، أم أوجبت الآباء أن يجري القرآن على البساطة السطحيّة؟

أفلا يعلم كلّ من له أدنى إلمام بتأريخ هذه القواعد والأُصول، وسبب وضعها ومأخذ قياسها، أنّها حادثة التشكيل، متعبّدة باللغة العربيّة، تابعة لها منقادة لنفوذ مأثورها، خاضعة لسلطان القرآن الكريم الذي تسالمت العرب العرباء على تقدُّمه وإمامته في لغتهم، حتّى خضعوا -وهم العتاة- لإعجازه، واعترفوا -وهم الخصوم اللُّدُّ- بعلوّ مقامه.

متى جاء القرآن الكريم؟ ومن الذي جاء به؟ وما يكون من العرب؟ وما حال القرآن مع العرب، وما حالهم معه؟ ومتى وضعت فنون العربيّة ولُفِّقت أُصولها وخُمِّنَت أقيستها؟ ومن الذي وضعها؟ وكيف وضعها؟ وعمّن أخذها؟ ولماذا وضعها؟ وهل كان أبا العرب؟ أو واضع لغتهم أو قدوتهم فيها؟ أو المسيطر على غرائزهم وقرائحهم فيها؟

وَسلْهم أيضاً: أو ليسوا هم الذين يتكافحون في فهم العربيّة بالتخطئة والتغليط، ويقومون في تفهُّمِهما وَ يَقَعُون، تستهويهم الغفلة ويخذلهم الفهم؟ ولا غرو فإنّ الغفلة من عوائد الإنسان، والعلم كلّه في العالم كلّه. وكم وكم أكدى السعي وضلّت الأفهام وزلّت الأقدام، ولا سيّما إذا تَزَبَّب الحصرم، وتمشيخ الصبيّ. ولا سيّما إذا أحكم الجهل والغفلة والتقليد في الذهن مقدّمة تحول بين الفكر وبين الحقيقة، وتسدّ عنه باب الصواب.

واستمع الآن إلى الجواب عن اعتراضاتهم، ثم اقض ما أنت قاض.

فمن لغة العرب رفع المعطوف في الصورة على اسم (أنّ) قال بشر بن أبي حازم الأسديّ يخاطب بني طيّئ:

إذا جُـزَّتْ نَـواصِي آلِ بَـدْر ... فَأَدُّوهـا وأَسْرَى في الوَثـاقِ

وإلاّ فَـاعْلَمُوا أَنَّـا وأَنـتُم ... بُغـاةٌ مـا بَقِينـا في شِـقاقِ[1]

وقال ضابئ بن الحارث البرجمي:

ومَـن يَـكُ أَمْسَى بِالمدينـةِ رَحْلُـهُ ... فـإنّي وَقَيّـارٌ بِهـا لَغَرِيـبُ[2]

وقال آخر:

خَلِـيلَيَّ هَـل طـبّ فـإنّي وأنـتما ... وإن لم تَبُوحـا بـالهَوَى دَنِفـانِ[3]

وقال عنترة يرثي مالكاً:

وكـان إذا مـا كـانَ يـوم كَرِيهَـة ... فَقَـد عَلِمُـوا أنّي وَهُـوْ فَتَيـانِ[4]

وفي قـوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، فرفع الله سبحانه لفظ (الصابئون) تمييزاً لهم من النَسَق، وتنبيهاً على أنّ الصابئين ـ وإن كانوا أبعد من اليهود والنصارى عن صورة التوحيد ـ إلاّ أنّهم مثل اليهود والنصارى في أنّ من آمن منهم وعمل صالحاً فهو آمن.

---

(١) ديوان بشر بن أبي حازم: ١٦٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١/١٧٢.

(٣) مغني اللبيب، ٢/٤٧٥.

(٤) لسان العرب، ١٥/٤٧٨، ها .

ولا حاجة إلى هذه الفذلكة في الآية الثانية والستين من سورة البقرة[١]، وذلك لأجل أنّ التنازل في الترتيب فيها كاف في الإشارة إلى هذه النكتة. فالآيتان معاً دالّتان عليها، ولكن كلّ واحدة بنحو من الأُسلوب.

وأمّا الآية السابعة عشرة من سورة الحجّ[٢] فلا محلّ لهذه النكتة فيها.

وبهذا تعرف بعضاً من مبلغ عصبيّة أصحاب الموقع وجهلهم في كلامهم. وكأنّهم إذا ألصقوا أنفسهم بالعرب، حسبوا أنّهم صاروا الحَكَم المُحَكَّم في العربيّة.

المطلب السادس: في رد اعتراضهم على تناقض آيات القرآن

قد أفحش أصحاب موقع القرآن في الغلط؛ إذ قالوا في اعتراضهم على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، فقالوا: إن سورة الأعراف تقول إن المصريين اشتكوا لفرعون من تصرّف موسى، فأمر بقتل أبناء العبرانيين واستحياء نسائهم. وتقول سورة القصص إن فرعون قبل ولادة موسى أمر بذبح الأولاد واستحياء النساء حتى خافت أم موسى عليه وخبأته في صفط البردي إلى أن انتشلته ابنة فرعون. فالآيتان متناقضتان!

---

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

(٢) قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

قلت: لم يقل القرآن: إنّ فرعون في هذه الواقعة قتل أبناءهم واستحيا نساءهم، وإنّما ذكر أنّ فرعون توعّدهم بأنّه سيفعل ذلك في المستقبل اغتراراً بقوّته وسطوته. ولكن موسى هوّن على قومه وعيدَ فرعون، ووعدهم بالنجاة والعافية والرفاهية والفوز بعاقبة الصبر.

فقد ذكر القرآن الكريم أنّه ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ على فرعون وغيره ممّن يبغيكم بالسوء ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ ولا يَستخفّكم الهلع، أو يهولكم الوعيد، أو تحسبوا أنّكم لا مأوى لكم من الأرض تستريحون به من ذلّة العبوديّة وتأمنون به من سلطان الجور ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ كلّها ﴿ لِلَّهِ ﴾ وبيده أمرها ﴿ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ وهو قادر على أن يجعل لكم منها ميراثاً تتبوّؤونه بالأمن والعزّة. وإنّ ذلك بُلْغَة الحياة الدنيا ونعيم زائل، من ورائه الحساب ويوم الدين ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ المرضيّة إنّما هي ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ لا لكلّ من ورث الأرض ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ ﴾ قال موسى ما معناه: لا تيأسوا من رحمة الله وفرجه ونصره ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ أي كلّ من ينصب لهم العداوة ويبتغي بهم السوء فلم يسمّ القرآن خصوص فرعون وقومه، بل العموم أنسب بالامتنان وأحسن في البشارة، خصوصاً إذا كانوا موعودين بالخروج من مصر ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٢٨-١٢٩]، بعد مُعاديكم.

وبما ذكرناه تعرف غلط أصحاب الموقع، وأنّهم يعيبون المسك بِرَيَّاه.

المبحث الثاني
في رد اعتراضهم على مسألة النسخ في القرآن وبيان حكمته المتعالية

اعترض أصحاب الموقع على قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] فقالوا: في هذه الآية الله يغير ويبدل كلمته. وأنه أكد هذا الأمر بكل وضوح في (النحل: ١٠١)، متناقضاً مع كلامه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]! وليس هذا فقط بل ينسى بعض الآيات، أو يجعل الناس تنساها ويستبدل بها أخرى مثلها أو أحسن منها !!! عجبا لماذا الله لا ينزل الأحسن من أول الأمر؟ ما هدف الله من الناسخ والمنسوخ ؟ وما هو الوارد في اللوح المحفوظ هل الناسخ أو المنسوخ؟ ولماذا لا نرى هذا في الكتب السابقة؟

أقول: من اضطرابهم في موقعهم أن لهجوا بهذا الافتراء، وهو من تعصبهم واستغفالهم لأمتهم؛ فإنّ الغافل لا يخطر في خياله أنّ أحداً يصرّ على الافتراء بهذا المقدار من الإصرار، ولا سيّما في موقع أنشئ لنصرة الديانة، في مقابلة أُمّة عظيمة راسخة القدم في العلوم الدينيّة، ولكن

لا تَنْتَهِي الأَنْفُسُ عن غَيّها ... مالم يَكُنْ مِنها لها زاجِرُ[1]

وبماذا يأتون وينفّرون المغفّلين من قومهم إلاّ بهذا التمويه؟ فإنّ قدس القرآن ليس لقائل فيه مغمز.

والرد عليهم بأمور:

---

(١) تاريخ بغداد: ٤٥٧: ٧.

الأمر الأول: في ماهيّة النسخ وحقيقة المراد منه في الاصطلاح

النسخ في الاصطلاح: هو رفع الله للحكم الشرعي بتشريع حكم آخر مخالف له. وحقيقته: هو أنّ الله ـ اللطيف بعباده، العليم بأحوالهم ومصالحهم، في جميع الأزمنة وتقلّبات الأُمور ـ قد يشرّع حكماً باعتبار مصلحة يعلم أنّ لَها أمداً منتهياً وحدّاً محدوداً، إلاّ أنّه جلَّت حكمته لم يبيّن حدّه لعباده، وإن كان مخزوناً في علمه، فإذا انقضى أمد تلك المصلحة وأمد الحكم المنبعث عنها، شرّع الحكم الثاني على مقتضى المصلحة المتجدّدة.

فقولنا: «النسخ رفع الحكم الأوّل» إنّما هو تسامح في الكلام، باعتبار دلالة دليله في ظاهر الحال على بقائه في جميع الأزمان، وإلاّ فالحكم الأوّل مرتفع في الواقع بنفس انتهاء مصلحته المحدود بحدّها عند الله. ولا ينبغي أن يتوهّم ذو شعور بأنَّ القائلين بإمكان النسخ في الشرائع ووقوعه، يقولون بأنّ الله يريد في أوّل تشريع الحكم دوامه أبد الآباد، ثمّ يعدل عن ذلك ويشرّع حكماً آخر. تعالى الله عن ذلك[1].

الأمر الثاني: في إمكانه

لا يخفى أنّ الله القادر على جعل الشريعة وتشريع الأحكام، لقادر على أن يجعل حكمين لزمانين مثلاً، فإذا انقضى زمان الحكم الأوّل

(١) لمزيد من التفصيل في الموضوع ينظر الإتقان: ٣٤/٢ فما بعدها، والبرهان: ٢٩/٢ فما بعدها، ومناهل العرفان: ٧٨/٢فما بعدها.

أعلن لعباده بواسطة رسله تشريع الحكم الثاني. ولا نجد من ذلك مانعاً، بل لا مانع، كما ستعرف إن شاء الله.

وهاك كَشْفَ الحقيقة، فإنّا إذا نظرنا إلى حكمة الله ولطفه بعباده، وعلمه باختلاف أحوالهم وتقلّبات أطوارهم، وغناه عنهم وعن جميع العالم، حكَمَتْ علينا عقولنا وفهَّمنا وجداننا، بأنّ أحكامه الشرعيّة في العبادات والعادات والسياسات، إنّما هي لاقتضاء مصالح العباد في طهارة نفوسهم وقربهم من حضرته، وتهذيب أخلاقهم وانتظام اجتماعهم ومدنيّتهم، وسهولة انقيادهم إلى الطاعة والأدب.

ومن الواضح أنّ الناس قد تختلف وجوه مصالحهم وتتغيّر بحسب الأزمان؛ لأنّهم بشر متغيّرون بحسب الأعصار وتقلّب الأحوال، في الأخلاق والعادات، والقوّة والضعف، واللين والقسوة، وسهولة الانقياد إلى الطاعة والتمرّد، والابتداء في الانقياد والتمرّن عليه، إلى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يخفى على الفطن. وبالضرورة يكون ما شرّع لمناسبة عوائد هذه الأجيال لا يناسب الأجيال المخالفة لها في العوائد، وما يناسب الأجيال القويّة لا يناسب الضعيفة، وما شرّع لمناسبة الأجيال السهلة الانقياد إلى الطاعة لا يناسب الأجيال المتمرّدة، وما يناسب المتمرّن لا يناسب المبتدئ، وما يناسب القاسي لا يناسب اللين.

حكي في الأناجيل أنّ اليهود اعترضوا على المسيح في منع الطلاق إلاّ لعلّة الزنى، وعارضوه بورود الطلاق في شريعة موسى مطلقاً، فقال لهم: إنّ موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم ولكن

من البدء لم يكن هكذا[١].

وانظر أيضاً ما البديهي من الأحكام العرفيّة، فإنّ ما يجعله حكماء العقلاء من الشرائع والقوانين لإصلاح اجتماع الرعيّة ومدنيّة مملكتهم وانتظام أدبهم، لابدّ من أن يكون في أوّل أمر التشريع وخصوص حال الانقلاب أيسرَ وأسهل على الرعية، مما تقتضيه المصلحة عند تمرّنهم على الانقياد لشريعة المملكة. وذلك لحكمة نفوذ الشريعة السهلة على القبول حتّى تتمرّن الرعيّة على الانشراح بالتشريع وإجراء المشروع. وهذه مصلحة مهمّة يحفظ بحكمتها سائر المصالح.

وكلمات الثقات، والعلماء الأثبات مصرحة بهذا المقام، وبالحكمة المتعالية التي يندمج عليها النسخ في القرآن. مثل العلامة ابن خلدون؛ فإنه صرح بأن من أمارات رعاية الشارع لمصالح العباد ما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه فيها، وذلك لطفا من الله تعالى بعباده وتخفيفا عنهم، باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها[٢].

وجاء بهذا المعنى مصرحاً به العلامة الحجوي فقال ما لفظه: «وحكمة النسخ؛ أن شرع الأحكام كثيراً ما يكون لمقتضيات وقتية، فإذا تغيرت ناسب تغير الحكم لتغيرها رحمة وتخفيفا من الحق سبحانه وتعالى، وقد لا يتغير حال، ولكن يكون القصد التخفيف فقط، وقد يكون القصد التشديد في بعض الأحكام كنسخ فدية الصوم بتعين الصوم.. أما حكمة

(١) إنجيل متى: ١٩/٧و٨ .

(٢) المقدمة: ١/٤٧١-٤٧٢.

بقاء تلاوة المنسوخ؛ فهو التذكير بحكمة التخفيف والامتنان بتلك النعمة، واستحضار تلك الحال السابقة، والتعبد والإعجاز وفوائد أدبية»[١].

وإلى هذا المعنى أيضا يشير كلام الزرقاني في مناهله؛ فإنه قال: «إن الله تعالى حين نسخ بعض أحكامه ببعضٍ ما ظهر له أمر كان خافياً عليه، وما نشأ له رأي جديد كان يفقده من قبل. وإنما كان سبحانه يعلم الناسخ والمنسوخ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده، بل من قبل أن يخلق الخلق، ويبرأ السماء والأرض، إلا أنه -جلت حكمته- علم أن الحكم الأول المنسوخ منوط بحكمة أو مصلحة تنتهي في وقت معلوم، وعلم بجانب هذا أن الناسخ يجيء في هذا الميقات المعلوم منوطاً بحكمة ومصلحة أخرى. ولا ريب أن الحكم والمصالح تختلف باختلاف الناس، وتتجدد بتجدد ظروفهم وأحوالهم، وأن الأحكام وحكمها والعباد ومصالحهم، والنواسخ والمنسوخات كانت كلها معلومة لله من قبل ظاهرة لديه لم يخف شيء منها عليه. والجديد في النسخ إنما هو إظهاره تعالى ما علم لعباده، لا ظهور ذلك له»[٢].

وإذا توجّهتم بعقلكم ووجدانكم إلى ما ذكرنا، حكمتم بالبداهة بإمكان النسخ في الشرائع الإلهيّة، بل تحكمون بلزومه بمقتضى الحكمة واللطف في بعض الموارد.

فإن استوضحتم وقلتم: كلّ حكم شرعي يُراعى فيه معدّل المصلحة لكافّة البشر، والقدر الجامع الذي تتساوى فيه جميع أطوار الناس

(١) الفكر السامي: ١/٤٤.

(٢) مناهل القرآن: ٢/٧٨

وأخلاقهم في جميع الأزمان، فلا يبقى محلّ للنسخ.

قلنا: إنّ من الأُمور ما لا تختلف جهته باختلاف الأزمان والأحوال كالزنى مثلا، وهذا لا يعتريه النسخ لحرمته.

وأمّا ما تختلف جهته بحسب الأعصار والأحوال كما ذكرنا، فإن كنتم تقولون بجواز مراعاة معدَّل المصلحة فيه من غير لزوم، فذلك لا ينافي ما ذكرناه لإمكان وقوع النسخ.

وإن كنتم تقولون بلزومه، سألناكم أوّلا ما هو الملزم به؟ ومن هو الملزم؟ ونبّهناكم ثانياً إلى أنّ سياحة الفكر في تقلّب أحوال البشر بحسب الأعصار والأخلاق والعادات ـ حسبما شرحنا بعضه ـ لتكشف لكلّ مميّز وتعرّفه بأنّ مراعاة معدَّل المصلحة ـ على ما تقولون ـ لا تنفكّ عن حرمان أكثر الناس من بركات اللطف بهم ومقتضيات مصالحهم. وما هو الداعي لذلك مع إمكان أن يعمّهم اللطف باستيفاء بركات مصالحهم على مقتضى الحكمة من دون مانع ولا فساد؟

الأمر الثالث: في وقوع الناسخ والمنسوخ في الشرائع السابقة

وأما ما ذكرتم من أن اليهود والنصارى ينكرون إمكان النسخ ووقوعه، حتّى إنّ بعض كتّابهم ليشدّدون النكير على القول بالنسخ، ويبالغون في امتناعه على جلال الله.

فالجواب عنه أنا نقول: إن كان شكّكم من هذه الجهة فإنّا نشكركم على إبدائها، فاعلموا أنّا لم نبخس اليهود والنصارى في ابتداء الأمر

حقّهم من حسن الظنّ؛ ولأجل ذلك تتبّعنا كتبهم التي ينسبونها إلى الإلهام والوحي، ونظرنا في نِحَلِهم التي عكفوا عليها، وشريعة جامعتهم في يهوديّتهم أو نصرانيّتهم، فوجدنا اليهوديّة قد كثر فيها النسخ نقلا عمّا قبلها، ونسخاً لما تقدّمها، ونسخاً لما جاء فيها. ووجدنا النصرانيّة الرائجة قد بُنِي أساسها وسُيِّج بنيانها ودار مِحْوَرُها على دعوى معنى النسخ الذي نقول به، بل على ملاشاة[1] الشريعة السابقة وأحكامها.

ولم نجد وجهاً صحيحاً لما تذكرونه عنهم إلاّ المنافرة مع النون والسين والخاء في اسم النسخ. وإنّا لا نضايقهم في الاسم، بل نسمّي هذا الذي نقول بإمكانه ووقوعه بالاسم الذي يسمّون به رفع الشرائع، الموجود في كتبهم التي ينسبونها إلى الوحي الإلهي. ونقتصر في مدّعانا على مثل ما وقع في الشرائع التي ينسبونها إلى الله.

وإنّ السير في كلمات بعض كتّابهم في هذا المقام، قد كشف لنا عن منشأ الاشتباه، أو مبدأ الحياد في المغالطة والتمويه. وهو أنّهم تخيّلوا بوهمهم ـ أو خيّلوا بتمويهم ـ أنّ النسخ الذي يدّعي المسلمون وقوعه في الشرائع هو رفع الحكم الشرعي، مع إبطال غايته الأصليّة التي شرّع لأجلها، وهي مصلحة العباد، إبطالاً جزافياً من غير نظر إلى تجدّد مصلحة أُخرى تناسب خلافه. فكأنّهم لم يسمعوا ولم يفطنوا من هتاف الصريح من كلمات المسلمين وكتابهم[2]، قولهم بأن الله الغنيّ الحكيم

(١) أي: فناء واضمحلال.

(٢) وقد أوردنا بعض كلماتهم.

شرّع الشرائع لطفاً منه بعباده ورحمة لهم، برعاية مصالحهم بأنواعها حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه بما يناسبها من الأحكام، بحسب اختلاف الأحوال والأوقات.

وعلى ذلك فقد تقتضي الحكمة تبديل الحكم الأوّل إلى ما هو أنسب منه في الزمان الثاني بالمصلحة والغاية المطلوبة في التشريع. وهذا التبديل إنّما هو لأجل المحافظة على الغاية التي شرّع الحكم الأوّل لأجلها، وهذا هو النسخ عند المسلمين. وإن فرض أنّ شريعة الحكم الثاني هي جوهر شريعة الحكم الأوّل باعتبار الغاية المطلوبة من التشريع، وأنّ الأُولى ترمز وتشير إلى الثانية لكونها أنسب باللطف والرحمة بحسب الوقت والحال، فإنّ كلّ الشرائع الإلهيّة متّحدة في غايتها المرعيّة. ولكن أليست الأحكام المتبادلة فيها مختلفة بالنوع والحقيقة؟ فنحن نصفهما بالناسخ والمنسوخ، بلحاظ هذا الاختلاف.

مثاله بأن نتكلّم على طريقة القائلين بسرّ الفداء، فنقول: إنّ الله قد شرع بلطفه ورحمته في التوراة أحكاماً لمصالح العباد في البرّ والتأديب والتكفير والخلاص والتكميل، واستمرّت على ذلك ألفاً وخمسمائة سنة تقريباً. ولكن لمّا كانت هذه الغايات تحصل فيما بعد ذلك على أحسن وجه وأتمّ حصول فرضاً بسبب الإيمان بالمسيح وبركة سرّ الفداء وذبيحة الفادي الكريم، رُفِعت ذوات الأحكام الخاصّة التي كانت في شريعة موسى وخُفّف ثقلها الباهظ وبُدّلت شدّتها بسهولة الراحة والإباحة. وهذا من وادي النسخ الذي يقول به المسلمون. ولا يشكّ فاهم أو غبيّ في أنّ أحكام

التوراة قد بُدّلت في النصرانيّة الرائجة في الصورة والماهيّة، وهم يقولون: إنّ ذلك بوحي من الله. وعليه فهو النسخ الذي يقول به المسلمون.

وأما ما ذكروه من أن الكتب السابقة، ولاسيما الشريعة اليهودية والمسيحية، لم يقع فيهما نسخ، فأَصْغِ لما نتلوه عليك من الكتب التي ينسبونها إلى الله والوحي، واحفظ ما ذكرناه لك في معنى النسخ الذي نقول به، وحاسبهم حساباً يسيراً، وجادلهم بالتي هي أحسن. ولنذكر لك طرفاً ممّا جاء في كتب وحيهم ممّا لا محيص عن كونه بمعنى النسخ الذي نقول به وإن أبوا تسميته نسخاً. فاستمع لذلك إن شاء الله.

المثال الأول: نسخ التوراة لحكمها في محرقة السَّهو

جاء في رابع اللاويّين عن الشريعة الموضوعة في جبل سيناء أنّه إذا سها كلّ جماعة إسرائيل، وأُخفي أمر عن المجمع، وعملوا واحدة من مناهي الربّ، يقرّب المجمع ثوراً ذبيحة خطيئة محرقة. مع تفصيل في كيفيَّة تقديمه وحرقه، من دون ذكر في الشريعة لتقدمة أو سكيب أو ذبيحة أُخرى. وجاء في الخامس عشر من العدد عن الشريعة الموضوعة في برّيّة فاران في حكم هذا الموضوع المتقدّم بأن يقدّموا مع الثور المذكور تقدمةً وسكيباً وتيساً[1]. وهو نسخ للحكم بكفاية الثور في الشريعة الأُولى.

(١) سفر العدد: ٢٤: ١٥-٢٦.

المثال الثاني: تحريم امرأة الأخ

وقد حرّمت التوراة امرأة الأخ من دون استثناء، في الشريعة الموضوعة في جبل سيناء. ثمّ بعد أربعين سنة تقريباً نسخت هذا التحريم العامّ في الشريعة الموضوعة عبر الأُردنّ، وأوجبت على أخي الزوج الميّت الذي لم يخلّف ولداً أن يتزوّج بامرأة أخيه الميّت ليقيم له نسلا، فإن أبى تقدّمه المرأة إلى الشيوخ وتخلع نعله وتبصق في وجهه أمام الشيوخ، ويدعى اسمه بيت مخلوع النعل[١].

المثال الثالث: التوراة وحَزْقِيال والمُحرَقة اليوميّة

جاء في التوراة أنّ محرقة كلّ يوم خروفان حَوليّان، أحدهما للصباح وثانيهما لما بين العشاءين. وتَقدِمَة كلّ واحد من الخروفين عُشر الإيفة من دقيق ملتوت بربع الهِين من زيت، وسكيبه ربع الهِين[٢]. وجاء في حَزْقِيال أنّ محرقة كلّ يوم حَمَل حَولىّ يعمل صباحاً صباحاً، وتَقدِمته سُدس الإيفة دقيق، وثُلث الهِين لرشّ الدقيق[٣].

فنسخ: ١. شريعة محرقة الليل. ٢. ومقدار الدقيق. ٣. ومقدار الزيت في تَقدِمة الصباح.

وهذا المقدار كاف في الأنموذج، ولولا خوف التطويل، لسودت

(١) سفر التثنية: ٥: ٢٥-١١.

(٢) سفر العدد: ٣: ٢٨-٩ .

(٣) سفر حزقيال: ١٣: ٤٦-١٦.

أوراقاً، ولم أذكر إلا آحاداً وأطرافا. فتأمل وقل ما ترضاه لك حريّة ضميرك، ومجد فهمك، وشرف صدقك ومعرفتك.

وأمّا التشبُّث بأقوال المفسّرين فتشبّث سخيف؛ لأنّ الحقائق غير مربوطة بأقوالهم. وإنّ كثيراً من أقوالهم هاهنا ناشئ عن آراء ضعيفة وأوهام مردودة، فقد جاء في تفسير الخازن عن قول العلماء: إنّهم قرنوا المفسّرين ـ باعتبار الكثير منهم ـ وساووهم بالمؤرّخين حيث وصفوهم جميعاً بأنّهم مُولَعون بكلّ غريب، ملفّقون من الصحف كلّ صحيح وسقيم[1].

ولنقتصر فيما يهمّنا في المقام على ما أشار إليه في الإتقان، وإن كان قليلا من كثير. فقد نقل عن ابن الحصَّار قوله: «ولا يعتمد في النسخ قول عوامّ المفسّرين بل ولا اجتهاد المجتهدين»[2].

فإن قلت: إنّ لي سؤالاً: وهو أنّه لو لم يوجب النسخ تشويشاً، فما هذا النزاع القائم في أمر الناسخ والمنسوخ في القرآن بين المكثر والمقلّل؟

و لماذا لا يوجد في النصرانيّة مثل هذا التشويش وهذا النزاع؟

قلنا: في الجواب: إنّ التشويش لم يجئ من ذات النسخ، ولم يوجب تشويشاً في الشريعة، فإنّ الناسخ والمنسوخ معلومان معروفان عند الأئمّة والمجتهدين في تحقيق الأحكام الشرعيّة، العارفين بموارد الشريعة

(١) تفسير الخازن: ٣/٣١٣، ذيل الآية ١٩و٢٠ من سورة النجم.
(٢) الإتقان: ٢/٢٤.

ومصادرها، والمعوّل عليهم بين الملّة في معرفة أحكامها، بحيث لا تشتبه عليهم مواردهما ولا تلتبس عليهم مصادرهما.

وأمّا النزاع الذي تراه، فإنّما أوجبه خبط الاشتباه بين من سمّاهم الإتقان بعوامّ المفسّرين. وذكر الخازن عن العلماء أنّهم قرنوهم بالمؤرّخين المولعين بكلّ غريب، كما تقدّم. وماذا على الحقائق إذا تشعّب فيها أوهام غير المحقّقين؟ وهل من حقيقة لم تتشعَّب فيها الأوهام، ولم تكثر في سبيل عرفانها معاثر الجهل؟

ولقد أطلنا الكلام في المقام حرصاً على إيضاح الحقائق، والتنبيه على مواقع الخبط، تبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المبحث الثالث
في رد اعتراضهم على القرآن من حيث اشتماله على التكرار

اعترض أصحاب الموقع على التكرار في القرآن، وقالوا: إن التكرار الذي لا يفيد معنى آخر للنص ولا يفيد الفصاحة والبلاغة ولا حتى الإعجاز العددي، لا يكون سوى حشو من الكلام، وأمر سلبي يقلل من قيمة النص الخطابي، ويعبر عن ضعف إمكانيات صاحب النص، وعدم قدرته على أن يجد المعطيات التي تساعده للتعبير عن ما يريد الإفصاح عنه، فيضطر لاستعمال ما استعمله سابقا. ومن الغريب العجيب أن نجد أن التكرار الذي يقول عنه أهل التأويل يفيد تقرير القرآن في الذهن ويرسخه هو نفسه يوقع حفظته في الخطأ والنسيان خصوصاً في وقت الصلاة، حيث يتلو الحافظ آية في إحدى السور فيصبح في آية أخرى أو سورة مغايرة تماماً[١].

فماذا تقول في اعتراضهم هذا، هو محض تمويه وتعصّب؟ أم إنهم لا يفهمون من الآيات فوائد تكرار الظاهر فيها؟

وإنّ هذه الفوائد لمعتنى بها في البلاغة، فقد قال عنتر في معلّقته:

يـا دار عبلـة بـالجواء تكلّمـي
وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي[٢]

وقال سوادة بن عدي:

---

(١) عدد الآيات المكررة حسب زعم الموقع: ٢٣١

(٢) شرح القصائد العشر: ٢١١.

لا أرَى الموتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفَقِيرا[١]

وقال امرؤ القيس:

فَلَـو أنّهـا نفـسٌ تَمُـوتُ سَـوِيّةً ولكنّهـا نَفْـسٌ تَـساقَطُ أنْفُـسا[٢]

وقول الآخر:

إذا قِيـلَ سِـيرُوا إنَّ لَـيلَى لَعَلَّهـا جَرَى دُونَ لَيلَى مائِلُ القَرْنِ أعْضَبُ

وذكر الباقلاني في معرض إيراده لجملة من طرق البديع التي اشتمل عليها الشعر عند العرب بأن «من البديع عندهم: التكرار». ثم أورد شواهد لذلك[٣]، يضيق المقام ببسطها.

ولماذا يتضجّر أصحاب الموقع من التكرار؟ فإنَّ التكرار رفيقهم في أناجيلهم؛ فقد تكرّرت «لما» تسع مرّات في الأصحاح الثاني وربع الأوّل من متّى. وجاء في أوّل يوحنّا: في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كلّ شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء ممّا كان فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه، لم يكن هو النور بل ليشهد للنور كان النور الحقيقي الذي يبرّر كلّ الناس آتياً إلى العالم كان في العالم وكوّن العالم به ولم يعرفه العالم.

(١) شرح الحماسة للمرزوقي: ٣٦/١.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٠٧.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني: ١٠٦.

وكم وكم ترى في إنجيل يوحنّا مثل هذا التكرار وأكثر!

وإن قيل: إنّ الإنجيل لم يكن مبنيّاً على البلاغة، والقرآن المبنيّ على البلاغة قد جاء فيه التكرار الكثير. قلنا:

أوّلا: حاصل هذا الكلام أنّ التكرار الفارغ لا يضرّ في الإنجيل؛ لأنّه غير مبنيّ على البلاغة.

وثانياً: إنّه لم يتكرَّر في القرآن الكريم إلاّ ما كان مقتضى الحال موجباً لتكراره.

فإن قيل: إنّ القرآن قد كرّر في سورة القمر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧،٢٢،٣٢،٤٠] أربع مرّات. وكذا قوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ١٦،١٨،٢١،٣٠]، وكرَّر في سورة الرحمن قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إحدى وثلاثين مرّة. وكرّر في سورة المرسلات قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عشر مرّات. فما الوجه في هذا التكرار في السورة الواحدة؟

قلت: إنّ للتكرار في الخطابة ومناهج البلاغة لمقاماً يتنافس فيه البلغاء، وغايةً يتسابقون إليها، فيكرّرون ما يعنيهم أمره ويهمّهم تثبيته في القلوب، ويجلونه بالتكرار ليفتحوا به المسامع ويملؤوا به القلوب، تنويهاً بشأنه وحياطة للغرض المهمّ فيه، فيتفاوتون في الإحسان به، كما يتفاوت في الجودة والمناسبة واقتضاء الحال. قال الحارث بن عباد في قصيدة لما قتل مهلهل ابنه بجيراً:

قَرِّبــا مَــربطَ النعامــةِ مِنِّــي لقحت حَرْبُ وائل عَـن حِيـالِ[١]

فكرّر صدر البيت في أربعة وأربعين بيتاً إلى قوله:

قَرِّبــا مَــربطَ النَعامَــةِ مِنِّــي لبجــير فــداهُ عَمِّــي وخــالِي

وقال مهلهل في قصيدة:

عـلى أن لـيسَ عَـدْلاً مـن كُلَيـب إذا خــافَ المغــار مــن المغــير

فكرّر صدر البيت سبع عشرة مرّة إلى قوله:

عـلى أن لـيس عـدلا مـن كُلَيـب إذا هَتَــفَ المثــوّب بالعــشير[٢]

وكرّر قوله: قرّبا مربط المُشَهَّر منّي[٣].

في صدور أبيات كثيرة.

وكرّرت ليلى الأخيليّة في رثاء توبة قولها في قصيدة:

فنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت[٤].

في صدور ستّة أبيات.

وقولها منها: لعمري لأنت المرء أبكي لفقده[٥].

في صدور أربعة أبيات.

---

(١) خزانة الأدب: ١/٤٧٢.

(٢) ديوان مهلهل: ٤٠-٤١.

(٣) المصدر: ٧٢-٧٤.

(٤) ديوان ليلى الأخيلية: ٧٢و٧٣.

(٥) نفسه.

وقولها منها: فلا يبعدنك الله يا توب[١].

في صدور أربعة أبيات.

وما هو من هذا النحو كثير، وغير مختصّ باللغة العربيّة، بل يوجد في خطابة كثير من اللغات وكلامها الذي يتسامى إلى البراعة ومراعاة مقتضى الحال.

حتّى إنّ المزامير الرائجة، لمّا كان أُسلوبها طامحاً إلى البلاغة، جاء فيها كثير من ذلك، فقد جاء في المزمور التسعين: «وعمل أيدينا ثبّت علينا وعمل أيدينا ثبّته»[٢].

وتكرر في المزمور المائة والخامس عشر قوله: «اتّكلوا على الربّ»[٣] ثلاث مرّات.

وفي المائة والسادس والثلاثين: «لأنّ إلى الأبد رحمته»[٤] ستاً وعشرين مرّة. على أنّ هذا المزمور لا يبلغ النصف من سورة الرحمن.

وفي العشرين من حزقيال: «التي إن عملها إنسان يحيا بها»[٥] ثلاث مرّات.

---

(١) نفسه.

(٢) سفر المزامير: ١: ٩٠.

(٣) سفر المزامير: ١٠٩، ١١٠، ١١٥.

(٤) سفر المزامير: ١٠٩، ١١٨.

(٥) سفر إشعياء: ٧، ٨: ٤٠.

وأيضاً تكرّر في سابع متّى عن قول المسيح: «من ثمارهم تعرفونهم»[١] مرّتين. كما في الثالث عشر منه أيضاً عن خطاب واحد للمسيح مع تلاميذه قوله: «هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»[٢].

وفي هذا المقدار من العهدين كفاية، وإن كان فيه أكثر من ذلك.

وإنّك إذا نظرت إلى مكرّرات القرآن في مواردها، وجدتَها ممّا لامساغ لغرض البليغ في تركها. كيف لا، وهي في مقام الامتنان بتيسير القرآن للذكر، والحثّ على الادّكار للاتّعاظ بما جرى على الكفرة المتمرّدين من عظيم النكال. وفي مقام التهديد والتهويل بذلك البطش الشديد حيث تمّت عليهم الحجّة بالنذر. وفي مقام التنويه بآلاء الله وبيان أنّه لا مجال في التكذيب بها. وفي مقام التهديد والوعيد بالويل في يوم القيامة للمكذّبين بالمعاد والجزاء.

وإنّك لترى أنّ هذه المقامات هي الرأس والعمدة في الإصلاح والتكميل ونظام المدنيّة، والهدى إلى الإيمان والسعادة. فراجع مواردها فإنّها توردك بتوفيق الله من زلالها العذب نهلاً وعللاً.

وقال الشيخ رشيد رضا يقرر هذا المعنى ما نصه: «إن مقاصد القرآن من إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرشد، وتحقيق الإنسانية ووحدتهم، وترقية عقولهم، وتزكية أنفسهم: منها ما

(١) إنجيل متى: ١٦، ١٩: ٧.

(٢) إنجيل متى: ٤٢، ٥٠: ١٣.

يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أو مرتين أو مراراً قليلة، ومنها ما لا تحصل الغاية منه إلا بتكراره مراراً كثيرة، لأجل أن يجتث من أعماق الأنفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة، والتقاليد والعادات القبيحة الضارة، ويغرس في مكانها أضدادها، ويتعاهد هذا الغرس بما ينميه، حتى يؤتي أكله، ويبدو صلاحه، ويينع ثمره، ومنها ما يجب أن يبدأ بها كاملة، ومنها ما لا يمكن كماله إلا بالتدريج، ومنها ما لا يمكن وجوده إلا في المستقبل، فيوضع له بعض القواعد العامة، ومنها ما يكفي فيه الفحوى والكناية.

والقرآن كتاب تربية عملية وتعليم، لا كتاب تعليم فقط، فلا يكفي أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعهود في متون الفنون، وكتب القوانين»[1].

وأمّا تكرار القرآن لقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠] خمس مرّات، فذلك لأجل أنّه حكاية لكلام خمسة من الأنبياء في خمسة مواقع، وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، حيث احتجّ كلّ واحد منهم على قومه، بأنّه لا يريد في إنذاره لهم إلاّ النصح والهدى، ولا يرجو فيه طمعاً ولا يسألهم عليه أجراً.

وأمّا ما تكرّر في مجموع القرآن، فما عسى أن يكون إذا اقتضاه الحال! أَوَلَمْ يتكرّر في متّى قول المسيح: «هناك يكون البكاء وصرير

(١) الوحي المحمدي، لرشيد رضا: ١٦٦.

الأسنان» ستّ مرّات، مع أنّ الكلمات المنسوبة فيه إلى المسيح لا تقارب واحدة من كبار سور القرآن؟ هذا فضلاً عن التكرار في كتب العهدين.

على أن بعض المحققين، يصرحون بعدم وجود التكرار في القرآن، كالإمام الغزالي؛ فإنه قال بعد كلام: «والمقصود أنه لا مكرر في القرآن؛ فإن رأيت شيئا مكرراً من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته»[1].

وبما ذكرناه تعرف شطط أصحاب الموقع وتحاملهم بضلالهم على القرآن الكريم.

وقد ذكرنا لك ما يحتمله الاختصار من شعر العرب الذي يوقفك على أسرار البلاغة وتفنّن البلغاء في كلامهم حسب مقتضى الحال. على أنّك لو قسته بالآيات المذكورة لوجدته كالمصباح مع الشمس، والصبابة مع النهر.

(١) جواهر القرآن ودرره: ٥٣

خاتمة وتوصية

إذا اتّضح ما ذكرنا فإنّي أرجو رجاء ناصح من عموم النصارى، وخصوص المقلّدين لأكابرهم، أن لا يقبلوا قول أكابرهم حتّى يفحصوا عنه، ولا أقلّ من مطابقته مع كتب العهدين التي هي كتب إلهام عندهم. فإنّي على يقين بأنّ العهدين على ما فيهما مباينان لأكثر أقوال الأكابر، مبطلان لأكثر حججهم ودعاويهم. ولا يخفى على عاقل أنّ الله جلّ شأنه لا يقبل من العباد عذرهم عن ضلالهم بقولهم: أطعنا ساداتنا وكبراءنا، واعتمدنا على أقوالهم في الدين والإيمان. كيف وقد اتّضح بفضل الله مصادمة أقوال الأكابر لكتب العهدين التي هي دستور ديانتهم، كما عرفته من متفرّقات هذا البحث، فإنّ تقدّم الناس في الطبيعيّات والرياضيّات والصنائع لَيُبَشِّرهم بالتقدّم في معرفة حقائق الدين وأُصول معارفه، إذا نظروا وبحثوا في جميع مقدّماتها ولم يعتمدوا على قول فلان وفلان، والمجمع الفلاني، والمصلح الفلاني. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فليعتبر ذو الرشد بأقوال هؤلاء في موقعهم، وأنّه كيف كان يراها قبل أن يطّلع على هذا البحث الذي خدمنا به الحقّ وطالبيه؟ أفلم يكن يراها ببادئ نظره واضحة الصواب قويّة الحجّة سديدة الشواهد؟ وإنّي أسأله كيف يراها بعد ما اطّلع على بحثنا، مع أنّي لم أستقص ذكر ما فيها، أفلم يحصل له الشكّ في صوابها على الأقل ؟

هذا؛ ولست أوجل على أجلة الزمان مما بثه هذا الموقع، وإنما الوجل

والخوف أن ينظر فيها المبتدئ من أبناء المسلمين فيحسب ورمها شحماً، وحبابها نجماً، فيعقد عليها الخناصر، ويتشبع بها في المخاصر[١].

لأجل هذا؛ أوصي بأن يلوي أهل الاختصاص إلى هذا الموقع وأمثاله، ويعكفوا عليه، ويبلوا أخباره، فيظهر عواره، وينتشر عن أذيال المتن غباره. كما أوصي بإنشاء مواقع تكون بمنزلة عواصم، تترصد لتلك القواصم.

اللّٰهُمَّ أنعم على عبادك بهداك، وخذ بأيديهم بتوفيقك إلى الصراط المستقيم، إنّك أرحم الراحمين.

(١) المخاصر: جمع مخصرة، وهي أداة من أدوات الخطابة.

مراجع البحث

١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، مطبعة حجازي بالقاهرة، ط الثالثة، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م .

٢- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، د.ت.

٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

٤- تاريخ بغداد، للخطيب أحمد بن علي البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية .

٥- تفسير ابن كثير، مطبعة الاستقامة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

٦- تفسير الخازن، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن، بالأوفست عن طبعة مكتبة المثنى، بغداد .

٧- تفسير المنار، للسيد رشيد رضا، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م .

٨- جواهر القرآن ودرره، للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .

٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي، بيروت، دار صادر .

١٠- ديوان امرئ القيس الكندي، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١١- ديوان بشر بن أبي حازم الأسدي، تحقيق الدكتور عزة حسن، الطبعة الأولى، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م

١٢- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه، الطبعة الثالثة، مصر، دار المعارف .

١٣- ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق الدكتور واضح الصمد، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م.

١٤- ديوان المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، بيروت، دار صادر .

١٥- ديوان مهلهل، تحقيق أنطوان محسن القوال، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

١٦- ذيل مقالة في الإسلام، تعريب هاشم العربي، ١٨٩١م، لم تذكر طبعته ولا محلها ولا صاحبها.

١٧- شرح الحماسة، لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام

هارون، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م
١٨- شرح القصائد العشر، لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
١٩- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٤م .
٢٠- طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، ليدن، مطبعة بريل، ١٩١٣م .
٢١- عنوان الموقع على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.thequran.com/Read.aspx?t=1&s=1&fv=1&tv=7
٢٢- العهد القديم، الطبعة الثانية، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٠٥م .
٢٣- العهد الجديد، مطبعة المدرسة في أكسفورد سنة ١٨٦٩م .
٢٤- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
٢٥- قانون التأويل، للقاضي أبي بكر محمد بن العربي المعافري، ٥٤٣ دراسة وتحقيق، محمد سليمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م .
٢٦- الكشاف عن حقائق التأويل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، القاهرة، مطبعة مصطفى محمد، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ
٢٧- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، عالم الكتب.
٢٨- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ
٢٩- مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٨١م .
٣٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي .
٣١- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
٣٢- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، مصر، الطبعة الثامنة، د.ت.
٣٣- الهداية، تأليف جماعة من النصارى، مطبوع في مصر بمعرفة البعثات التنصيرية الأمريكية، سنة ١٩٠٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
الفصل الأول: في تقديم فكرة عن الموقع	٣
الفصل الثاني: في رد اعتراضات (موقع القرآن) على الكتاب العزيز	١١
المبحث الأول: في تنزيه القرآن عن الأخطاء	١٣
المبحث الثاني: في رد اعتراضهم على مسألة النسخ في القرآن وبيان حكمته المتعالية	٣٧
المبحث الثالث: في رد اعتراضهم على القرآن من حيث اشتماله على التكرار	٤٩
خاتمة وتوصية	٥٧
مراجع البحث	٥٩

ندوة

القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة

(تقنية المعلومات)